الإطار 2-2: يا عرب، نودّ التحدّث معكم!

اسمي كلاوديا ماريا تريسو، إيطالية الأصل، أتحدث الإيطالية كلغة أمّ والعربية كـ"لغة قلب"!

بدأت دراسة اللغة العربية قبل ثلاثين سنة تقريبا، وتعرّفت على مجموعة من الشباب والفتيات الفلسطينيين من مدينة الناصرة كانوا يدرسون الطبّ في جامعة مدينتي "تورينو". وعندما عاد الشباب إلى وطنهم في العطلة الصيفية قاموا بدعوتي لزيارتهم، وأتاحوا لي الفرصة لأتعرّف على عائلاتهم ولأشاهد أرضهم ولألتقي مع العديد من الأشخاص الذين حدّثوني عن تاريخهم ودينهم وثقافتهم وتقاليدهم وآدابهم. حتى ولو لم أكن أفهمها، فقد كنت أستمع إلى أشعار محمود درويش وإيقاعها الجميل وكنت استمتع كثيرًا بأغاني أم كلثوم وفيروز. تذوّقت لأوّل مرة الحمّص والمتبّل والفلافل، لعبت مع الأطفال وهم يضحكون عليّ بسبب عدم فهمي لغتهم وتعلّمت من النساء تحضير القهوة بالهيل لتقديمها للضيوف... وفهمت أنني لم أكن الوحيدة التي لا تعرف إلا القليل عن الحضارة العربية الإسلامية. بل إن أهلي وأصدقائي وكلّنا تعلّمنا في المدارس القليل من المعلومات عنها. وكانت وسائل الإعلام تكرّس مساحة صغيرة للأحداث المتأتية من البلدان العربية. لهذا قررت دراسة اللغة العربية: رغبتي العميقة في التحدّث مع العرب بلغتهم، وقراءة درر كتبهم الثمينة، وفهم نصوص أغانيهم... لكي أساهم مع المستعربين الإيطاليين في نشر المعرفة باللغة والأدب والثقافة العربية في بلادنا.

لم يكن هذا الطريق سهلا ولا يسيرا: درست لعدة سنوات العربية الفصحى التراثية في جامعتي تورينو وليون، والعربية المعاصرة في جامعة تونس، ثم كتبت أطروحة الدكتوراه في جامعة نابولي. انغمست، ولا أزال منغمسة، في دراسة النحو والأدب وتاريخ العرب والإسلام، وشيئا فشيئا أصبحت قادرة على قراءة درر العرب القديمة والمعاصرة. منذ عشرين سنة وأنا أدرّس اللغة والآداب العربية في جامعة تورينو، وترجمت بعض هذه التحف إلى اللغة الإيطالية: من بينها رحلة الرحالة المشهور محمد ابن بطوطة. وبصفتي أستاذة العربية ومترجمة، تشرّفت وأتشرّف دائمًا بدعوتي للمشاركة في العديد من المؤتمرات في دول عربية مختلفة، ولمست عن قرب الثراء غير العادي للغة العربية، أن تكون لغة مشتركة بين العرب تسمح لأبنائها (وللأجانب الذين يتعلمونها!) بفهم بعضهم بعضا في منطقة شاسعة من العالم، تمتد من المحيط إلى الخليج!

ولكن يوجد شيء لا نستطيع أن نقوم به نحن المستعربين إلا في بعض المناسبات، وهو أننا لا نستطيع التحدث مع العرب الذين نلتقي بهم خارج الإطار الأكاديمي! طبعا، عندما أحادث شخصا عربيا بالعربية الفصحى المعاصرة، فإنه في الغالبية العظمى من الحالات يفهمني ويفرح بحديثي معه بلغته الأصلية. ولكن كثيرًا من الأشخاص لا يتمكّنون من ذلك لأنه ما أن نتجاذب الحديث بهذه اللغة حتى يبدأون بالتحدث بالعربية المحلية، يعني بالعربية الدارجة... وإن لم أستطع الفهم، فإنهم يتحدّثون معي بالإنجليزية أو بالفرنسية!

لذلك أرجوكم يا عرب: نريد أن نتحدّث معكم باللغة التي نحبها والتي كرّسنا سنوات طويلة من حياتنا لتعلّمها. نريد أن نتحدّث معكم بالعربية التي هي تراثكم الثمين وفخركم ورمز وحدتكم الحقيقي! اتبعوا مثال العديد منكم الذين يسلكون طرقا جديدة وقوموا بنهضة لغوية جديدة: خفّفوا العربية المعاصرة، جدّدوها، اتّفقوا على معجم معاصر مشترك بين العرب كلهم! انشروا العربية المعاصرة في ميدان العلوم الجديدة، انتجوا أفلاما حديثة وترجموها لأجل تعلّم العربية كلغة أجنبية حديثة وحية... لا نريد أن نقرأ كتبكم فقط، نحن نودّ التحدّث معكم!

تورينو، إيطاليا، 31 أكتوبر/تشرين الأول 2019.
كلاوديا ماريا تريسو، عضو اللجنة الاستشارية للتقرير.